

أضواء البيان

@ 82 @ فالعذر له وجه في الجملة ، كما يشير إليه قوله تعالى في القصة في هذه السورة

الكريمة { قَالَ يَا هَارُوتَ وَمَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَهْلًا
تَدْبِيرًا فَعَصَيْتَ أَمْرِي قَالَ يَبْدُوْهُمْ لِي لَوْلَا تَأْخُذُ بِدِينِ اللَّهِ وَلَا
بِرَأْسِي إِنْ كَانَ خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ
تَرْقُبْ قَوْلِي } . والمصدر في قوله { بِيْمَلَاكَذَا } مضاف إلى فاعله ومفعوله محذوف ،
أي بملكننا أمرنا . وقال القرطبي : كأنه قال بملكننا الصواب بل أخطأنا . فهو اعتراف منهم
بالخطأ . وقال الزمخشري : { أَفَطَالَ عِلَايَكُمْ الْعَهْدُ } : الزمان ، يريد مدة
مفارقتهم لهم . .
تنبيه .

كل فعل مضارع في القرآن مجزوم ب (لم) إذا تقدمتها همزة استفهام . كقوله هنا : {
أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا } فيه وجهان معروفان عند العلماء : .
الأول أن مضارعتة تنقلب ماضوية ، ونفيه ينقلب إثباتاً . فيصير قوله : { أَلَمْ
يَعِدْكُمْ } بمعنى وعدكم ، وقوله : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } بمعنى شرحنا ،
وقوله : { أَلَمْ نَجْعَلْ لَّهْ عَيْدَيْنِ } ، جعلنا له عينين . وهكذا . ووجه انقلاب
المضارعة ماضوية طاهر ، لأن (لم) حرف قلب القلب المضارع من معنى الاستقبال إلى معنى
المضي كما هو معروف . ووجه انقلاب النفي إثباتاً أن الهمزة إنكارية ، فهي مضمنة معنى
النفي ، فيتسلط النفي الكامن فيها على النفي الصريح في (لم) فنفيه ، ونفي النفي
إثبات فيؤول إلى معنى الإثبات . .

الوجه الثاني أن الاستفهام في ذلك التقرير ، وهو حمل المخاطب على أن يقر فيقول (بلى)
وعليه فالمراد من قوله { أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا } حملهم على أن
يقروا بذلك فيقولوا بلى هكذا . ونظير هذا من كلام العرب قول جرير : أَلَمْ يَعِدْكُمْ
رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا { حملهم على أن يقروا بذلك فيقولوا بلى هكذا . ونظير هذا من
كلام العرب قول جرير : % (أَلستم خير من يركب المطايا % وأندى العالمين بطون راح) % .
فإذا عرفت أن قوله هنا { فَارْجِعْ مُوسَى إِلَيَّ قَوْمِهِ غَضَبَانَ أََسِفًا } إلى
قوله { بِيْمَلَاكَذَا } قد بينا أن موسى لما رجع إليهم في شدة غضب مما فعلوا
وعاتبهم قال لهم في ذلك العتاب { أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا
أَفَطَالَ عِلَايَكُمْ الْعَهْدُ } فاعلم أن بعض عتابه لهم لم يبينه هنا ، وكذلك بعض

فعله ، ولكنه بينه في غير هذا الموضع . كقوله في (الأعراف) في القصة بعينها : {
وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ